

دراسة تيمائية لمسرحية الحارس لهارولد بينتر - الحائزة على نوبل الآداب - وإخراج  
عز الدين عبار للمسرح الجهوي بسيدي بلعباس الجزائر

**A thematic study of Harold Pinter's play The Guardian - winner  
of the Nobel Prize for Literature - directed by Azzedine Abbar for  
the regional theater of Sidi Bel Abbas Algeria**

أ.د. إلياس بوخموشة

جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، cineliasb@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/06/04

تاريخ القبول: 2022/04/09

تاريخ الاستلام: 2022/03/24

#### ملخص:

يمكن للدراسة طرح سؤال إشكالي حول البحث وهو: كيف أثر سياق النص الأصلي لكتابه "هارولد بينتر" على العرض المسرحي الجزائري "الحارس" الذي أعاد إحياء هذا النص المرجعي من المسرح العالمي المعاصر؟ يعتمد البحث المنهج التيماتي (الموضوعاتي) مستعينا بأدوات بحث تتمثل في المقاربة السيميولوجية، والسبرانية، والتاريخية، والاجتماعية، والسياسية. خلال هذا البحث المقترض استطاعت الدراسة التحليلية أن ترصد أحد التيمات الجوهرية لعرض مسرحية "الحارس" التي أجادت البناء الاقتصادي دون إهمال البعدين الجمالي للعرض، والفكري للنص المسرحي الذي ترجع بذوره لكتابت معاصر أجاد في الجمع بين الطرح السياسي الناقد والبناء العبثي اللامعقول، كشكل مسرحي لم يعد طليعيًا الآن، بحكم انتشاره في كل الفنون الأخرى خصوصًا السينما التي هي مجال بحث مقدم هذه الدراسة علما أن ل "هارولد بينتر" إسهامات سينمائية -كتابة سيناريوهات- ملفتة جديرة بالمتابعة.

**كلمات مفتاحية:** مسرح جزائري. هارولد بينتر. محمد بن بكرتي. عبار. مقارنة تيمائية. سيميولوجيا. سبرانية. فلسفة العبث. الوجودية. سينما.

**Abstract:** The study can raise a problematic question about the research, which is: How did the context of the original text of its writer "Harold Pinter" affect the Algerian theater performance "The Guardian", which revived this reference text from the contemporary world theater? The research adopts the thematic (thematic) method.

With the help of research tools represented in the semiological, cybernetic, historical, social and political approach. During this brief research, the analytical study was able to monitor one of the essential themes of the presentation of the play "The Watchman", which perfected the economic construction without neglecting the aesthetic dimensions of the presentation and the intellectual theatrical text whose seeds go back to a contemporary writer who excelled in combining critical political proposition with absurd and absurd construction, as a theatrical form no longer Avant-garde now, due to its prevalence in all other arts, especially cinema, which is the field of research of the presenter of this study, knowing that "Harold Pinter" has made remarkable cinematic contributions - writing screenplays - worthy of follow-up

**Keywords:** Algerian theater. Harold Pinter., Mohamed Benbakriti. Abbar., Thematic approach. Semiology, cybernetics. The philosophy of the absurd., Existentialism. Cinema

## 1. مقدمة:

يتبادر في ذهني عند مشاهدة أو قراءة مسرحية محبوكة بعناية أن العقل البشري يمكنه تحليل أكثر الميكانيزمات تعقيدا في وجودنا المعاصر، وعلى رأسها تلك التي تعنى بالنفس البشرية في تعاملها مع ذاتها تارة، وفي تفاعلها الاجتماعي تارة أخرى، وكلما استطاع مهندس التعقيدات البشرية مراعاة البناء الداخلي للشيء الذي يريد تحليله، و في الآن معا يراعي الظروف المحيطة بهذا البناء -بحكم حتمية أثرها على البناء الذي يجد فضاءه الوجودي عبارة عن سياق متفاعل لا محالة مع تكوين البناء- تتداعى التصورات المنهجية الأكاديمية التي تعزل البناء بمفرده لتدرسه تحت عنوان المنهاج البنيوي في البحث، إيمانا خاطئا من الباحث بأنه قادر على الوصول إلى الحل المنهجي بالبناء و ما يجعله متماسكا دون أثر يذكر للسياق، بينما ترى المناهج السياقية التقليدية أن السياق النفساني، و الاجتماعي، وغيرها هو الفاصل الوحيد في بناء المعنى الذي ينتج العمل، وفي الآن ينبعث منه ليؤثر في السياق، أما الطرح الما بعد بنيوي والمابعد حدثي(1)، فإنه يقر بتراجع تلك المدارس الإقصائية فاتحة المجال لإمكانية التداخل بين البحثين السياقي و البنيوي للبحث عن حقيقة الشيء النسبي في جوهره التيماتي، أو معناها السيميولوجي بمنطق سبراني يؤمن بالفيدباك كأداة طبيعية تلقائية تتحكم في توجيه العمل وفق الصراعات التي تدفعه ليكون بهذه الصياغة دون غيرها من الصياغات الممكنة. ومن خلال هذا الطرح المنهجي يأتي هذا البحث/المقال الذي يحاول رصد التيمات التي تحرك العرض المسرحي "الحارس" لمخرجه عز الدين عبار وأداء كل من بن بكرتي محمد في دور الأخ الأكبر، بن سميثة حسين في دور الأخ الأصغر، واحمد بن خال في دور المتشرد، من إنتاج المسرح الجهوي لسيدي بلعباس سنة 2017، بحكم أن المسرح الجهوي لو ينتج عملا متكاملًا لحد الآن، ربما

لأسباب قاهرة كالأزمة الاقتصادية، والحراك الشعبي، وأزمة كورونا كوفيد 19، وغيرها من الاهتزازات التي جعلتنا نتشوق لمشاهدة أعمال كالتى كانت في مسرح سيدي بلعباس الجهوي سلفا.

يمكن للدراسة طرح سؤال إشكالي حول البحث وهو: كيف أثر سياق النص الأصلي لكاتبه "هارولد بنتر" على العرض المسرحي الجزائري "الحارس" الذي أعاد إحياء هذا النص المرجعي من المسرح العالمي المعاصر؟

يعتمد البحث المنهج التيماتي مستعينا بأدوات بحث تتمثل في المقاربة السيميولوجية، والسبرانية، والتاريخية، والاجتماعية، والسياسية.

ويقسم البحث إلى مقدمة و مطلبين وخاتمة، ورغم المصاعب التي تعترض الباحث في هذا النشاط الإنساني عندنا إلا أن الدوافع الذاتية والموضوعية هي السند الأساسي الذي هون من صعوبات البحث، ويتمثل الدافع الذاتي الأساسي في رغبتى الملحة في إدراك كفيي، اقتباس الأدب العالمي لجعله ممكنا في واقعنا الثقافي الحالي بالمسرح والسينما(2)، أما الدافع الموضوعي الأساسي هو تزويد الطالب الذي أشرف عليه ويود إنجاز بحث أكاديمي حول مسرحية " الحارس"، ولم يجد متخصصا أكاديميا في المسرح يزوده بمقال عن العرض كي يجعله نموذجا للتحليل خلال بحث تخرجه في ماستير النقد المسرحي من جامعة سيدي بلعباس الجزائر، فكنت متطوعا للكتابة رغم أنني منشغل بالبحث والتأليف في السينما بوصفها اختصاص واسع لا يسمح لي الاشتغال به وبغيره في الآن معا. كما ألفت القارئ إلى أنني تعمدت وبعد تردد كبير عدم إلحاق الهوامش بهذا البحث كي أدفع الطالب إلى السعي للحصول على المراجع التي اعتمدها ومتابعتها كي يتأكد هو من مصداقية المقال لأننا تعودنا للأسف الوثوق بالبحث المهتمش بالشهادات حتى ولو كانت هذه الأخيرة مسروقة أو مزيفة أم منسلخة عن السياق الذي أراده لها كاتبها الحقيقي، وبالتالي يصبح هذا

البحث بهذا الشكل استغزانا مقصودا لكل أكاديمي تقليدي يكرر ما يحفظ دون تحقيق(3)، كما أن ساحة النقد المسرحي في الجزائر ذاقت درعا في الفترة الأخيرة من أولئك الذين أصبحوا يكتبون في كل شيء فتجدهم في اللقاءات العلمية والثقافية الخاصة بالمسرح، والسينما، والشعر، والترجمة، والإعلام، والاتصال، والرواية، والتاريخ، والثقافة الشعبية، ولما لا الدين، والطبخ، وكيفية الحصول على بطن مشدود في صالة كمال الأجسام(4).

2. هارولد بنتر بين المسرح والسياسة:

### 1.2 هارولد بنتر بين جائزة نوبل وفلسفة العبث:

توفي هارولد بنتر في 24 ديسمبر 2008 بلندن، بعد أن نال من المسرح العالمي، إذ حصل على عدة تتويجات أهمها جائزة نوبل للأدب سنة (5)2005.

وفي أواخر أيامه ومع معاناته بمرض عضال أبي إلا أن يحقق طموحه الجوهري ألا وهو السعي لممارسة العمل السياسي ببلده بريطانيا، إذ أعتبر بنتر تطورا ملفتا في مسرح اللامعقول الذي يمارسه، فقد عرف عن هذا الأخير أنه عرض لهلوسات وأحلام غرضها الأساسي الأدب و العرض الفني فقط، بطرح مفاده "الفن للفن"، وهذا حسب ما يميل إليه الكثير من الباحثين التقليديين في هذا النوع من المسرح المسمى تارة مسرح العبث و تارة أخرى اللامعقول(6).

مع أنني شخصا أعارض هذا الطرح لأنني قرأت في "الخرتيت" "رينوسيروس" ليوجين يونيسكو، الطرح السياسي اللاذع، وكذلك مسرحية "الملك يموت" للكاتب نفسه، كما أرى في أدب أب هذا النوع من المسرح "صاموئيل بيكت" لمسات سياسية ونقد اجتماعي وثقافي واضح، لكنني لن أخوض في هذا الجدل بحكم أن المبحث لا يسعه الخروج عن الموضوع ليركز البحث على حقيقة أن "بنتر" ناشط سياسي له عدة إسهامات في الحياة السياسية في

بريطانيا وخارجها عبر انتقاداته وتحركاته (7). إذ انتقد احتلال الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاءها للعراق وأدان قبل ذلك الهجوم على أفغانستان، كما أدان ممارسات الصهيونية في فلسطين المحتلة، وعُرف بخطاباته الهجومية التي يتحين لها الأماكن المعمورة بالشخصيات العالمية السياسية، و سبق وأن طُرد من أمسية كان بصحبته فيها الكاتب العالمي "ارثر ميلر" بسبب خطابه الانتقادي المباشر عندما أعطي الكلمة، ولم تعد هذه أسراراً بل هي منشورة حتى في الأنترنت (8).

## 2.2 هارولد بينتر ومسرح العبث الملتزم

كل من يقوم ب "عَوَّلَتْ" أي البحث في متصفح "غوغل" لاسم "هارولد بنتر" بالعربية أو بلغات أخرى، يجد هذه الوقائع منشورة ومتواترة ممّا لا يدعو إلى الشك في أن بنتر مناضل يساري ثوري يطمح تغيير العالم إلى أحسن، و يعادي البورجوازية العالمية، ويناصر الطبقات الكادحة والمستضعفين، فهل هذه قناعاته الحقيقية؟ أم صورة يريد تسويقها ليبقى محترماً في الساحتين الأدبية، والفنية، والشعبية؟

المشهور بأنه مناضل ضد القوى العظمى يتلقى الولايات حتى ولو كان بارعاً في فنه، بل ولن يسوق لبضاعته كإجراء عقابي، فمن من الفنانين في الغرب من يجرؤ الآن البوح بعدم مساندته لقرار الحصار على روسيا الفيدرالية بسبب العمل المسلح الذي تقوم به ضد شقيقتها أوكرانيا، حيث يرى في ذلك ضرراً اقتصادياً يمس جيوب البسطاء أساساً، ولن يضر روسيا مطلقاً، سوف يحاصر فضلاً على أنه يُحرم من كل جائزة عالمية "محترمة"، و هذا ما يثير التساؤل حول يهود الشتات في العالم أيضاً، ممن يتبنون خيار المقاومة ضد الصهيونية والامبريالية العالمية، علماً أن بنتر يهودي الديانة، إنجليزي الميلاد، روسي الأصل، وهذا يشبه كثيراً سياق "جاك دريدا" صاحب المدرسة التفكيكية في الفلسفة والنقد المابعد بنوي، إذ أنه يهودي الديانة، و جزائري الميلاد (9)، فرنسي الإقامة ومتعدد الألسنة واتهمه بعض النقاد

بالترويج لفكر منطلق من تعاليم التلمود، لكن الدراسة العلمية تتطلب الابتعاد عن نظريات المؤامرة التي تعتبر قناعة مثلها مثل الدين الذي يدخل في خانة " العائق الإبيستمولوجي" الذي تحدث عنه "غاستون باشلار" (10).

وبذلك نأخذ الأشياء في ظاهرها بما يخالف جوهر البحث السيميولوجي للأسف، والذي تعتبره هذه الدراسة من أساسيات وأدوات بحثها لفك طلاسم الإشكال المطروح، وهذا ما يجعل الدراسة النقدية صعبة الممارسة عموماً لأن الدراسات العلمية يجب أن تكون أكاديمية محكمة، أما النقد فقوامه المعارضة والغور في الجوهر لإلقاء الحكم على العمل بكل شجاعة حتى لو كان الحكم ذاتياً ولا يقوم على الأسس الموضوعية التي يطلبها البحث العلمي الجامعي التقليدي، -وهذا ما دفعني لاتخاذ أسلوب متحرر في كتابتي لهذا المقال- لأنه يجب أن يُعاد النظر في هذا الإشكال المنهجي الحرج من طرف أكاديميين في العلوم الإنسانية كما سبق وأن شق الطريق لذلك الباحث الراحل "باشلار" الذي أقر أنه يستحيل عزل الذات الباحثة عن موضوع البحث والحكم على مادته (11).

نختم خلال هذا المطلب بالإشارة إلى أن "بينتر" مدرسة مهمة في المسرح المعاصر إذ أن مشروعه الفني يشبه مخاض البحث العلمي المعاصر الذي بدأ يتحرر -في بعض الجامعات العالمية التي وفقت لزيارتها أمثال جامعة مونتريال بكندا قسم جماليات ودراسات سينمائية التابع لكلية العلوم والفنون التي تتبع منهجية خاصة بها في البحث والتطبيق- من دكتاتورية الإيديولوجيا التي تلغي السياق لصالح البناء أو العكس، وراح البحث العلمي خليطاً متناغماً من الأمرين كما هو مسرح "بينتر" مزيج بين الذاتي والجمعي، وبين النفسي، والاجتماعي، والسياسي، كما هي الحياة خليط من كل شيء، وكما هي ألوان الطيف التحام بين كل الألوان، كذلك هو مسرح "بينتر"، وهذا ما يجعله تجريدياً في بعض الأحيان، لأن الباحث

عن إمكانية قول كل شيء في الآن معاً، يُنجز حتما عملاً يشبه الإنسان المعاصر الذي ليديه ثقافة عالية جداً في الوقت الذي يعاني منه آخرون فقراً ثقافياً مدقعاً، وبذلك يصل المعنى تاماً عند البعض ويغيب كلياً عند البعض الآخر ليشاهد خلال العرض المسرحي أو السينمائي عرضاً عبثياً يلعب على السينوغرافيا، بالديكور المكثف في عُرف بينتر المغلقة التي تحتوي الكثير من التفاصيل، وشيئاً من الكوميديا التي تدفع من لم يفهم المغزى تعويض جهله ذلك بالضحك.

### 3. قراءة مسرحية الحارس من بريطانيا إلى الجزائر

#### 1.3 الأسلبة في الإخراج بوصفها أسلوب في الاقتصاد:

لم يبتعد كثيراً المخرج العباسي -نسبة لمدينة سيدي بلعباس في الجزائر- عن "هارولد بينتر" البريطاني حيث أن الإحساس الأول الذي ينتابك كون المسرحية مأخوذة عن الأصل كما هي بترجمة عربية فقط، لكن سرعان ما تلاحظ تدخلات المخرج على النص لجعله معاصراً لجمهوره الجزائري، كما أنه لم يهمل أيضاً نقل التفاصيل الأصلية مثل الدلو المملوء بالماء الذي قدمه "بينتر" في نصه، هذا لا يمنع أن دلو "عز الدين عمار" ليس دلو "بينتر"، لأن أسفل الدلو يوجد ما هو أهم من ذلك الديكور والإكسسوار، وهو الممثل الذي يرتدي ملابس بسيطة من مشتريات سوق الدلالة -سوق الملابس المستعملة-، إذ أن المخرج قد أقر أن هذه المسرحية محكومة بالسياق الثقافي للبلد إذ يعيش حالة تقشف اقتصادي تدفع الفنان لثقافة الاقتصاد في كل شيء ما عدا المشاعر الفياضة التي يتعجب بها مشهد المونولوج لشخصية الأخ الأكبر التي يؤديها "محمد بن بكرتي"، حيث أن هذا الأخير أدى دوره بطريقة الأسلبة التي تقتصد في كل شيء، في الحوار، وفي الحركات، والمشاعر، وكل ذلك ساعد في اختزان طاقة كامنة عند الممثل تفجرت في مشهد يجعلك تتعاطف مع الشخصية وتحس بها ولو لم تفهم مغزى المشهد -الذي هو سياسي طبعاً-.

### 2.3 من أزمة البرجوازية إلى برجوازية الأزمة في قراءة هارولد بنتر جزائريا:

يتصاعد التوتر بالتحول التدريجي لموقف الأخ الأكبر الذي استضاف المتشرد في بيته خلال العرض المسرحي، واشترى له حذاء، واعتنى به مع أن هذا الأخير الذي كان معرضا للضرب والإهانة في الحانة التي أخرجها منها الأخ الأكبر في ليلة ظلماء، بدأ المتشرد يشك في نوايا فاعل الخير، وكأن المسرحية تعكس المقولة الشعبية "الخير بهراوته"، أي أن فاعل الخير لا بد أن يتأذى ممن يحسن إليه " اتق شر من أحسنت إليه"(12). هذا ما يعكس الحقيقة النفسية لبعض الناس واقعا، حيث أن اللؤم يدفعهم لعدم التصديق بوجود أناس خييين بطبعهم، ويغمرهم الشك ليدفعهم للانقلاب على فاعل الخير، وهذا ما يعكس كذلك واقع البروليتاريا الجاهلة التي لا تعي أن المثقف الذي يحرك فيها الوعي الطبقي والسياسي هو المكسب الذي يجب حمايته، لا التخلي عنه في أحلك الظروف، بل أبشع من ذلك يتحول المثقف المتحرر إلى العدو الذي يجب إغائه عوض مواجهة البرجوازية المتفاقمة في بلد لا يزال يعيش مرحلة انتقالية حرجة من النظام الاشتراكي نحو النظام الرأسمالي الليبرالي، بدون وعي طبقي لدى الجماهير المخدرة، إذ يرون أن المثقف يحتاج "رقية" أو يحتاج "المال"، وهذا ما يقدمه العرض المسرحي ببراعة في مشهد المونولوج للأخ الأكبر، ويبدو هذا هو سبب الجنون الذي هو سر الصمت وعدم تبرير الأفعال التي يقوم بها الأخ الأكبر، لأنه لم يجد آذانا صاغية واعية، وهذا ما سهل مهمة الأخ الأصغر كي يفاقم شكوك المتورد ويشجع على الثورة على المحسن إليه، ومطالبته بالرحيل -هذا يشبه أيضا ثورة الشعوب المتلاعب بها على حكامها بما اصطلح عليه بالربيع العربي-، ووددت لو أن المخرج "عبار" غير النهاية ليجعلها كارثة تصيب الأخ الأصغر والمتشرد بعد رحيل الأخ الأكبر، لأنه يود تلقينهم درسا مفاده إياكم وطرد الفنان المثقف، فرغم أنه غامض إلا أن

وجوده ضروري في المدينة، ولا تتجلى قيمته إلا بعد فقدانه، أو احذروا من تقليص الدعم للعمل الفني في أي أزمة اقتصادية تعصف بنا لأن أول مجال يتأثر بالأزمات المالية في دول العالم الثالث هو الفن، وكأنه شيء ثانوي فقط وليس جوهريا في الوجود، مع العلم أن الإنسان الأول رغم ظروفه التعيسة إلا أنه أتعب نفسه كثيرا في ترك جداريات مرسومة بإتقان لم تستطع الظروف الطبيعية محوها بمرور القرون، فلو كان يعتبر ذلك الإنسان الفن ثانويا لكان ضحى به في تلك القسوة التي عانى منها، وبذلك استطاع الفنان العباسي المتأسي بالإنسان الأول لإيصال رسالته بطريقته الجميلة والإبداعية، ويبقى الأكاديمي التقليدي غافلا عن هذه الرسائل التي يقدمها الفنان بالعمل لا بالخطابات، لأنه حان الوقت لمراجعة المناهج الأكاديمية التي أصبحت تخرج نقادا سذج للغاية -وأقصد هنا من يتمكن من الكتابة أصلا-، إلا من نجده متفتح على ما يقع في العالم الأكاديمي المعاصر من وعي الضمير بخصوص العقلية المنهجية الرجعية التي أوصلت البشرية لطريق مسدود(13).

وتبقى تيمة الوعي السياسي ومدى تداخلها مع الاجتماعي والنفسي ضرورية لفهم مسرح "بينتر/عبار" ومن خلالها استيعاب واقعنا بعد قراءته قراءة سليمة تمهد لإصلاحه بما أمكن وبطريقة واعية ومسالمة من طرف كل غيور متحرر.

#### 4. خاتمة:

خلال هذا البحث المقتضب استطاعت الدراسة التحليلية التي تركز المنهج التيماتي أن ترصد أحد الموضوعات الجوهرية لعرض مسرحية "الحارس" التي أجادت البناء الاقتصادي دون إهمال البعدين الجمالي للعرض، والفكري للنص المسرحي الذي ترجع بذوره لكاتب معاصر أجاد في الجمع بين الطرح السياسي الناقد والبناء العبثي اللامعقول، كشكل مسرحي لم يعد طليعيا الآن، بحكم انتشاره في كل الفنون الأخرى خصوصا السينما التي هي

مجال بحث مقدم هذه الدراسة علما أن ل "هارولد بينتر" إسهامات سينمائية -كتابة سيناريوهات- ملفتة جديرة بالمتابعة.

### 5. قائمة المراجع:

- 1- Voir / Nouveau Larousse illustré, dictionnaire universel encyclopédique, publié sous la direction de Claude AUGÉ, tome troisième, (CI-D), Paris 17, Rue montparnasse 17, p466.
- 2- Voir / GRAND Bernard, cybernétique de la pensée, entreprise nationale du livre, Alger, 1990, N°d'édition 1310/83, p12.
- 3- Voir / GARDIES René, Comprendre le cinéma et les images, Armand Colin éditeur Paris, 2007, p145.
- 4- الغزامي عبد الله، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط2، 2005، ص / Voir 26
- GRAND Bernard, cybernétique de la pensée, OP, p11.-18
- 5- Voir / Tel quel, Derrida Jacques, Iver 1968, OP, 32, p03.
- 6- جاسير دايفيد، مقدمة في الهرمينوطيقا، ترجمة: وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم ش.م.ل، منشورات الاختلاف، / Voir ط01، 2007، ص30.
- 7- Voir / GRAND Bernard, cybernétique de la pensée, OP, p12
- 8- Voir / Casetti Francesco, les théories du cinéma depuis 1945, Traduit de l'italien par Sophie Saffi, Editions NATHAN, 1999, p61
- 9- (أنظر) إيكو أمبرتو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، ط02، 2004، المركز / Voir الثقافي العربي، ص23.
- 10- Voir / بارت رولان، نقد وحقيقة، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 1994، ص109.
- 11- إيكو أمبرتو، التأويل بين السيميائيات والتفكيك، م.س، ص160 / Voir .
- 12- Voir / LAZAR Judith, la science de la communication, OP, p105
- 13- Voir / METZ Christian, Essais sur la signification au cinéma, Tome 1, Editions KLINCKSIECK, 4eme Tirage, 1986, p99.

